

مه أعلام القضاء

فضيلة الشيخ محمد بن

عبدالمحسن بن عبدالعزيز الخيال*

(م ١٣١٨ - ت ١٤١٣ هـ)

إعداد:

حمد بن عبد الله بن خنين

* رئيس محاكم الأحساء ومميزاً لأحكام قضاة قطر (سابقاً).

القاضي العلم والعالم الأسم، الباذل جهده وحياته في سبيل إحقاق الحق والنصح والإرشاد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «القاضي من جهة الإثبات شاهد ومن جهة الأمر والنهي مفتي ومن جهة الإلزام بذلك ذو سلطان . . .». وشيخنا شاهد ومفتي وسلطان خلال مسيرة حياته القضائية. ووفاء لهذا العلم البارز يسر «مجلة العدل» أن تشرى الحديث عن كافة جوانب حياته تعريفاً بأثر العلماء ليكون مرجعاً للإقتداء به وإبراز المكانة الرفيعة له التي يتحلى بها.

مولده ونسبه

الشيخ محمد بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز بن محمد بن علي بن زيد بن وطبان بن مرخان (والد مقرن جد الأسرة الحاكمة)، ولد في مدينة المجمعة عام ١٣١٨ هـ ونشأ في كنف والده، وهو من عائلة كريمة ومعروفة بالعلم والفضل من قبيلة عنزة. وسميت بالخيال نسبة إلى أن جددهم كان يمتطي فرساً أثناء تجواله بالبلد.

حياته العلمية

درس مبادئ القراءة والكتابة على يد والده المعروف بتدينه حيث كان والده من رجال الحسبة في ذلك الوقت وقد عُرف بالتمسك بالعقيدة ومحاربة البدع وكان ذلك عاملاً مهماً في نشأة ابنه الشيخ محمد وتوجهه. وقد حفظ القرآن الكريم في صغره وأمّ المصلين وعمره لا يتجاوز ١٨ سنة. كما درس على يد عمه الشيخ/ عبدالله الذي كان آنذاك يقوم بتدريس القراءة والكتابة، ثم التحق بأحد الكتاتيب بالمجمعة لدى الشيخ ابن مطر حيث درّس علوم التوحيد والفقه واللغة العربية. كما لازم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وحضر له دروس في الفقه والتوحيد والفرائض وعلوم القرآن والسنة وكان يقرأ على الشيخ العنقري مطولات الكتب. كما درّس في المسجد النبوي ودرّس في دار العلوم الشرعية بالمدينة المنورة عدد من العلوم الشرعية في التوحيد والحديث والفقه والفرائض. وكان سريع الاستيعاب حاضر البديهة ساعده حفظه للقرآن في صغره قطع شوطاً كبيراً في مضممار التعليم ونبوغ مشهود له. وقام بنسخ كثير من الكتب المخطوطة وضمها إلى مكتبته. مما جعله نموذجاً

الشيخ محمد بن عبد المحسن بن عبدالعزيز الخيال

لطالب العلم ورمزاً غير مسبوق في حرصه واهتمامه بتريخ العلم الشرعي . وكتب الصكوك والوثائق والاتفاقيات والوصايا فكان محل ثقة .

ملازمته للعنقري

حظي بملازمة فضيلة قاضي محكمة المجمععة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري حيث وصل بدوافعه الذاتية ونبوغه إلى مستوى من التعليم أهّله لحضور حلقات الشيخ العنقري ووصل به الأمر إلى تقريبه بل اعتماده عليه حتى عرف اسم الشيخ العنقري مرتبط باسمه . فما يصدر عن الشيخ الخيال كأنه صادر عن الشيخ العنقري وذلك للثقة التي أولاها له .

فكما ذكرنا أكمل دراسته على يديه الفقه والتوحيد وعلم الفرائض وعلوم القرآن والسنة والعديد من أمهات الكتب والمصادر وكان الشيخ العنقري يحكم فقد بصره يعتمد عليه في عمل البحوث والرود على الفتاوى وتسجيل الأحكام ورصد القضايا ونحوها وكان يقضي غالب وقته معه مساهما في حل مشاكل الناس وملبياً لاحتياجاتهم .

ومن قوة الثقة به كان ينييه في كثير من القضايا ويؤم المصلين في غيابه في مسجد الإمام فيصل بن تركي بالمجمععة . ما أقام بخط حاشية الشيخ العنقري بيده ونسخها عدة نسخ وقام بتوزيعها على طلبة العلم إلى أن تم طبعها فيما بعد . ومن قوة الثقة به إجازته بعقد جلسات تعليمية في مسجد المرقب بالمجمععة بعد المغرب والظهر حيث كان يدرّس الفرائض والفقه والحديث والنحو والصرف وغيرها ، حيث حضرها عدد كبير من طلاب العلم منهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح الصالح والشيخ حمود بن عبدالله التويجري قاضي رحيمة ثم الزلفي والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله التويجري والشيخ عبدالرحمن بن عثمان الدهش قاضي أقبه والشيخ حمد بن إبراهيم الحقييل قاضي الخرمة ثم ضرما ثم الخرج وغيرهم . حيث كانت جلساته محط أنظار أقرانه ومعارفه ومحبيه .

حياته العملية

عمل فترة طويلة ملازماً لدى الشيخ العنقري في المجمععة . وبترشيح منه عينه الملك عبدالعزيز

قاضياً في هجر «مبايض والأرطاوية ونفي» وكانت هذه الهجر فيها مشاكل عاصرت فترة التأسيس مما يدل على أن اختياره كان نتيجة لمعرفة تامة بقدرته على حل المشاكل وإذابة الجليد المتراكم في عواطف الناس كما له جهود كبيرة في تبصير الناس ونبذ الفرقة والخلاف . وبعد أن حقق جهداً في هذا الجانب وخدمة في القضاء طلب الإعفاء والعودة إلى بلده المجمع فتحقق له ما أراد حيث أعطاه الملك عبدالعزيز . وكان يعقد جلسات تعليمية وإرشادية في أمور الدين في تلك الهجر حيث كان مقصداً للمتعلمين والمسترشدين يعلمهم ويوجههم .

وفي أواخر عام ١٣٦٠ هـ عندما تم إعفاء الشيخ العنقري من قضاء المجمع وسدير لكبر سنه قام الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم بترشيحه قاضياً في الرياض ، وفي عام ١٣٦٣ هـ طلب الشيخ ابن زاحم من الملك عبدالعزيز تعيين الشيخ الخيال قاضياً في المدينة المنورة فالتحق برفقه الشيخ ابن زاحم بالإضافة إلى الشيخ عبدالعزيز بن صالح فأصبح رئيساً للمحكمة المستعجلة بالمدينة بالإضافة إلى قيامه بالتدريس في حلقات المسجد النبوي ومدرسة دار العلوم الشرعية بالقسم العالي في مواد العلوم الدينية حيث ساهم في تطوير التعليم المنهجي فيها .

وفي عام ١٣٧٤ هـ أصدر الملك سعود أمراً بنقله إلى رئاسة محاكم الأحساء واستمر فيها حين تقاعده في ١/٨/١٣٨١ هـ وخلال فترة قضاائه في الأحساء استمر في استقبال طلبة العلم في منزله حيث كان يدرس شتى العلوم الدينية والعربية حيث كان من طلبته ابن أخيه الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الخيال الذي تولى قضاء الأحساء ثم جده حين أصبح قاضي تمييز في مكة المكرمة . كما كان من طلبته الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الخيال وأحمد بن محمد هاشم والشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالعزيز العكاس والشيخ سعيد بن حجرف وغيرهم كثير .

توليه تمييز قضاء قطر

بحكم عمله في الأحساء وقربه من دولة قطر وما اشتهر به بين الناس من قدرات علمية وصواباً في الأحكام وعدالة في الحكم طلب أمير قطر آنذاك الشيخ علي بن ثاني من الملك سعود تعيينه مميّزاً لأحكام قضاة قطر فوافق على ذلك حيث عين رئيساً للتمييز هناك كان محل تقدير من أميرها وكان

الشيخ محمد بن عبد المحسن بن عبد العزيز الخيال

يؤم المصلين بالجامع الكبير كل يوم جمعة وداوم فترة من الزمن حتى طلب إعفائه والرجوع إلى الرياض .

محكمة الأحساء في عهده

تأسست أول محكمة في الأحساء عام ١٣٥٣ هـ ومقرها الهفوف وكان يتبعها القرى والهجر وكان أول قاضي لها الشيخ عبدالله بن عمر آل دهيش وفي عام ١٣٥٩ هـ افتتحت محكمة المبرز وفي نفس العام تولى رئاسة محكمة الهفوف بالأحساء الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري وفي عام ١٣٧٤ هـ تولى الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال رئيساً عليها . وكان قضاء الأحساء ذلك الوقت تابع لقضاء المنطقة الوسطى الذي شكّل في عام ١٣٧٦ هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وفي عام ١٣٧٩ هـ تم ضم قضاء المنطقة الغربية مع الوسطى تحت رئاسة واحدة وأصبح المقر في الرياض .

وكان الشيخ عبدالمحسن بن عبدالله العبدالقادر مساعداً للشيخ الخيال وبعد تقاعد الشيخ الخيال عام ١٣٨١ هـ تولى رئاسة محكمة الأحساء الشيخ صالح بن علي بن غصون . ويتبع رئاسة المحاكم : المحكمة الجزئية ومحكمة الجفر ومحكمة العيون ومحكمة حرض وكتابتي العدل الأولى والثانية وكتابة عدل الجفر وكتابة عدل العيون أمّا محكمة المبرز فقد تم ضم أعمالها إلى المحكمة العامة بالأحساء عام ١٤٢٠ هـ .

مكتبته في عيشة

عندما استقر في الرياض في ظهرة عيشة صرف جلّ اهتمامه ووقته في تنمية مكتبته الكبيرة والتي ضمت مراجع دينية ولغوية مخطوطات وفتح أبوابها لطلبة العلم ، حيث كان يجلس فيها بعد عصر كل يوم ، وكان يزوره فيها عدد من القضاة والشخصيات البارزة كمعالي الشيخ عبدالعزيز بن حسن آل الشيخ ومعالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ومعالي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ والشيخ محمد البواردي والشيخ محمد بن هليل والشيخ إبراهيم الثميري ومعالي الشيخ

محمد بن إبراهيم بن جبير ومعالي الشيخ راشد بن صالح بن خنين وغيرهم من العلماء حيث وضع مكتبته تحت تصرف الباحثين وطلبة العلم والمعرفة وكان يشرح ويوضح ويجيب على ما يطرحه أولئك من مسائل وقضايا علمية ودينية ولغوية .

صفاته وأخلاقه

كان -رحمه الله- هادئ الطبع لين الجانب تطمئن إليه النفس وترتاح يشعر الجالس بمشاعر ممزوجة بالطمأنينة والحب والوفاء ، وكان جلي الفكرة عندما يتحدث عن موضوع ما عميقاً في إجابته عن كل سؤال يوجه إليه ، تجد عنده الغاية والنتيجة في كلمات يسيرة وعندما يحدثك عن التاريخ تشعر كأنه مستوعب جميع الأحداث التي واكبت حقبة ما يتحدث عنه . كان يفصح عن الغاية بأسلوب واضح . كان حريصاً على النظام والترتيب والتحكم في الوقت وكان محبوباً متواضعاً لا يؤثر فيه المديح ولا يحب المظاهر زاهداً مخلصاً لدينه وعمله محباً لولاية الأمر والعلماء ومقدراً لهم . كان نموذجاً لطالب العلم النجيب ومحط أقرانه من طلبة العلم ورمزاً من رموز القضاء والعلم الشرعي . لديه الثقافة الواسعة في شتى علوم الحياة الأخرى .

وفاته

توفي -رحمه الله- في مدينة الرياض بتاريخ ١٤١٣/٩/٩ هـ وصلي عليه في جامع الراجحي بعد عمر دام ٩٥ سنة وحضر الصلاة عليه جمع غفير وعدد من العلماء العارفين بفضله وعلمه وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ومعالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ومعالي الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير والشيخ إبراهيم الثميري والشيخ عبدالعزيز بن ربيعة والشيخ إبراهيم السميري والشيخ عبدالمحسن بن عبدالله الخيال كما شيعه تلاميذه وأقاربه ومعارفه . وقد خلف من الأبناء عبدالعزيز مدير عام التعليم بوزارة الدفاع والطيران . غفر الله لشيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه الله على ما قدم في خدمة العلم والقضاء خير الجزاء وأوفره إنها مسيرة عالم وترجمة علم بارز من أعلام القضاء .